بسم الله الرحمن الرحيم

العَدْلُ الأُسْرِيُّ مَطْلَبٌ ضَرُورِيٌّ

الْحَمْدُ للهِ الحَكَمِ العَدْلِ، صَاحِبِ الجُودِ وَالفَضْـلِ، أَنْزَلَ الكِتَابَ بِالحَقِّ وَالمِيزَانِ، وَأَمَرَ عِبَادَهُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْـلٌ مِنَ الحَمْدِ وَأُثْنِي عَلَيْهِ، وَأُومِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْـلِلْ فَـلا هَـادِيَ لَـهُ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، خَلَقَ الإِنْسَانَ وَجَعَلَهُ بَيْنَ الخَلْقِ مُكَرَّمًـا، وَحَرَّمَ سُبْحَانَهُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِهِ وَجَعَلَهُ بَيْنَ العِبَادِ مُحَرَّمًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّـنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَكْرَمَهُ رَبُّهُ فَكَانَ أَوَّلَ المُسلِمِينَ وَأَسْبَقَ العَادِلِينَ، خَيْرُ النَّاسِ لأَهْـلِهِ وَأَشْفَقُهُمْ، وَأَلْطَفُهُمْ وَأَرفَقُهُمْ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُـمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

لا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ أَنَّ الأُسْرَةَ أَسَاسُ المُجتَمَعِ وَنَوَاتُهُ، بِصَلاحِهَا يَصْـلُحُ وَتَستَقِيمُ حَيَاتُهُ، وَهِيَ مُجتَمَعٌ صَغِيرٌ يَتَكَوَّنُ مِنْهُ المُجتَمَعُ الكَبِيرُ، فَلا عَجَبَ أَنْ كَانَ صَلاحُ الأُسْرَةِ مِنَ القَوَاعِدِ الرَّاسِخَةِ، وَالأُسُسِ المُهِمَّةِ، الَّتِي يَنْبَنِي عَلَيْهَا صَلاحُ كُلِّ أُمَّةٍ، فَإِذَا أَرَادَتْ أُمَّةٌ أَنْ تَسْمُوَ وَتَرقَى إِلَى آفَاقٍ عَظِيمَةٍ، وَتَنَالَ مَا تَأْمُلُ مِنْ غَايَاتٍ كَرِيمَةٍ، فَلْتُوَجِّهْ اهتِمَامَاتِهَا إِلَى صَلاحِ أُسَرِهَا، وَمِنْ أَجْـلِ الوُصُولِ إِلَى هَذَا الهَدَفِ المَنْشُودِ؛ قَاوَمَ الإِسْلامُ كُلَّ تَصَرُّفٍ يُوهِنُ الأُسْرَةَ وَيُضْعِفُهَا، وَيُبْعِدُهَا عَنِ الجَادَّةِ وَيَصْرِفُهَا، وَرُبَّمَا يُمَزِّقُهَا وَيُفَكِّكُهَا، وَمِنْ أَخْطَرِ الأُمُورِ الَّتِي يَخْشَاهَا الإِسْلامُ عَلَى الأُسْرَةِ وُجُودُ الظُّلْمِ وَانْتِشَارُهُ، وَغِيَابُ العَدْلِ وَانْدِثَارُهُ، وَحَتَّى لا تَقَعَ الأُسْرَةُ فِي هَذَا المُنْزَلَقِ الخَطِيرِ حَرَصَ الإِسْلامُ مُنْذُ البِدَايَةِ عَلَى أَنْ تَقُومَ الحَيَاةُ فِي الأُسْرَةِ عَلَى الخُلُقِ وَالدِّينِ، وَالمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ، فَبِغَيْرِ هَذَا لا تَسِيرُ سَفِينَةُ الأُسْرَةِ عَلَى هُدًى وَنُورٍ، وَلا تَنْتَظِمُ فِيهَا الأُمُورُ، وَقِوَامُ الأُسْرَةِ فِي البِدَايَةِ رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ تَكَوَّنَتْ بَيْنَهُمَا عَلاقَةٌ

شَرِيفَةٌ عَنْ طَرِيقِ الزَّوَاجِ، هَذِهِ العَلاقَةُ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ آيَةً مِنْ آيَاتِهِ، وَأَثَرًا مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١)، فَالعَلاقَةُ الزَّوْجِيَّةُ مِنْ أَسْمَى العَلاقَاتِ الإِنْسَانِيَّةِ وَأَرقَاهَا، وَأَخْلَصِهَا وَأَنْقَاهَا، وَلِمَ لا؟ وَهِيَ عَلاقَةٌ قَائِمَةٌ عَلَى المَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ، بِهَا يَتَحَقَّقُ لِكِلا الزَّوْجَيْنِ السَّكَنُ وَالاستِقْرَارُ، الَّذِي يُؤْمَلُ أَنْ يَأْخُذَ صِفَةَ الدَّوَامِ وَالاستِمْرَارِ، وَمُنْذُ اللَّحْظَةِ الأُولَى مِنْ إِنْشَاءِ العَلاقَةِ الزَّوْجِيَّةِ تَحَمَّلَ كُلٌّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ مَسْؤُولِيَّةً، هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ وَاجِبَاتٍ عَلَيْهِ لِلطَّرَفِ الآخَرِ.

عِبَادَ اللهِ:

إِنَّ الأُسْرَةَ مُؤَسَّسَةٌ صَغِيرَةٌ، بَيْدَ أَنَّ عَوَائِدَهَا وَأَرْبَاحَهَا كَثِيرَةٌ، مَا دَامَتِ الضَّوَابِطُ الخُلُقِيَّةُ فِيهَا مَصُونَةً وَمَرْعِيَّةً، وَلِكَي يَبقَى بُنْيَانُ الأُسْرَةِ بِمَنْأًى عَنِ الهَزَّاتِ، وَفِي مَأْمَنٍ مِنَ التَّصَدُّعَاتِ، فَعَلَى كُلٍّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ أَدَاءَ مَا عَلَيْهِ مِنْ وَاجِبَاتٍ نَحْوَ الآخَرِ، وَهَذَا هُوَ العَدْلُ الَّذِي يُرِيدُهُ الإِسْلامُ لِلأُسْرَةِ أَسَاسًا قَوِيًّا، وَمَنْهَجًا وَسُلُوكًا سَوِيًّا، إِنَّ هُنَاكَ مِنَ الحُقُوقِ المُتَمَاثِلَةِ لِكُلٍّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ مَا وَضَّحَهُ الإِسْلامُ وَأَكَّدَهُ وَوَثَّقَهُ، فَالزَّوْجُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ حَسَنَ العِشْرَةِ مَعَ زَوْجِهِ، كَرِيمَ المُعَامَلَةِ لَهَا، جَمِيلَ الصُّحْبَةِ مَعَهَا، فَلا يُؤْذِيهَا وَلا يُهِينَهَا، وَعَلَيْهِ إِنْ صَدَرَتْ مِنْهَا هَفْوَةٌ، أَلاَّ يُعَامِلَهَا بِقَسْوَةٍ وَجَفْوَةٍ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَصْفَحَ وَيَعْفُوَ، وَلا يُعَامِلَهَا بِالمِثْلِ، وَهَذَا عِلاجٌ نَاجِحٌ وَفَعَّالٌ، يَجْعَلُهَا تُرَاجِعُ نَفْسَهَا فَتُحْسِنُ الأَقْوَالَ وَالأَفْعَالَ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾(٢)، وَلْنَأْخُذْ – عِبَادَ اللهِ– الرَّسُولَ ﷺ أُسْوَةً وَقُدْوَةً لَنَا فِي هَذَا المَجَالِ، كَمَا فِي غَيْرِهِ مِنَ المَجَالاتِ، فَهُوَ القَائِلُ: ((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهلِي))، وَعِنْدَمَا سُئِلَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – عَمَّا كَانَ يَصْنَعُ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ: ((كَانَ

(١) سورة الروم / ٢١ .

(٢) سورة النساء / ١٩ .

يَكُونُ فِي مِهْـنَةِ أَهْـلِهِ))، وَالزَّوْجَةُ عَلَيْهَا لِزَوْجِهَا مِثْلُ ذَلِكَ؛ تَحْـقِيقًا لِمَبْدَأِ المُمَاثَلَةِ فِي الحُقُوقِ وَالوَاجِبَاتِ المُتَبَادَلَةِ، وَتَرْسِيخًا لِمَبْدَأِ العَدَالَةِ الَّذِي قَرَّرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ فَقَالَ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾(١)، وَمِنَ الحُقُوقِ وَالوَاجِبَاتِ المُتَمَاثِلَةِ لِلزَّوْجَيْنِ الرِّعَايَةُ، فَكُلٌّ مِنْهُمَا رَاعٍ لِلآخَرِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّـتِهِ، وَالتَّعَاوُنُ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ مَطْلَبٌ شَرْعِيٌّ، وَأَمْرٌ ضَرُورِيٌّ، كَيْ يُؤَدِّيَ كُلٌّ مِنْهُمَا مَسْؤُولِيَّـتَهُ بِكُلِّ يُسْرٍ وَدِقَّةٍ، وَيُعْطِيَ الآخَرَ حَقَّهُ، وَمِنْ مَظَاهِرِ التَّعَاوُنِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ – عِبَادَ اللهِ – التَّشَاوُرُ بَيْنَهُمَا فِي القَضَايَا الَّتِي تُهِمُّ الأُسْرَةَ خُصُوصًا، وَفِي الأُمُورِ الأُخْرَى عُمُومًا، امتِثَالاً لِقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾(٢)، فَكَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَستَشِيرَ الرَّجُلُ زَوْجَهُ فِي بَعْضِ شُؤُونِ الأُسْرَةِ فَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ تَستَشِيرَ المَرأَةُ زَوْجَهَا فِي هَذَا الشَّأْنِ، وَالمَشُورَةُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ، وَسُلُوكٌ مَحْبُوبٌ، يَستَوِي فِيهِ أَنْ يَكُونَ بِنَاءً عَلَى طَلَبٍ مِنْ أَحَدِهِمَا أَوْ بِمُبَادَرَةٍ مِنْهُ، كَمَا حَدَثَ مِنْ أُمِّ سَلَمَةَ حِينَ بَادَرَتْ بِمَشُورَتِهَا المُبَارَكَةِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، وَمِنَ الأُمُورِ الَّتِي يَكُونُ لِزَامًا عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يَستَشِيرَ زَوْجَهُ فِيهَا الخِطْبَةُ لابنَتِهِمَا، فَمِنَ الرُّشْدِ وَالتَّقْدِيرِ استِشَارَةُ الأُمِّ فِي هَذَا الأَمْرِ المُهِمِّ الخَطِيرِ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: ((خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِجُلَيْبِيبَ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ إِلَى أَبِيهَا فَقَالَ: حَتَّى أَسْـتَأْمِرَ أُمَّهَا – أَيْ أَستَشِيرَهَا– قَالَ: فَنَعَمْ إِذًا، فَذَهَبَ إِلَى امْرَأَتِهِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا))، وَجَاءَ فِي الأَثَرِ: ((آمِرُوا النِّسَاءَ فِي بَنَاتِهِنَّ))، وَمِنْ مَظَاهِرِ التَّعَاوُنِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ أَنْ تَنُوبَ المَرأَةُ عَنْ زَوْجِهَا فِي إِدَارَةِ شُؤُونِ الأُسْرَةِ حَالَ غِيَابِهِ، وَأَنْ تُعِينَهُ إِنْ كَانَ فَقِيرًا وَكَانَ لَهَا مَالٌ؛ حَتَّى لا يُضْطَرَّ إِلَى الاستِدَانَةِ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ هُمُومٍ وَأَثْقَالٍ، وَقَدْ أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ ذَلِكَ يُحَقِّقُ لَهَا أَجْرَيْنِ: أَجْرَ القَرَابَةِ وَأَجْرَ الصَّدَقَةِ.

---

(١) سورة البقرة / ٢٢٨ .

(٢) سورة الشورى / ٣٨ .

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِذَا أَثْمَرَتْ شَجَرَةُ الأُسْرَةِ وَتَفَرَّعَتْ، فَأَصْبَحَ لِلزَّوْجَيْنِ أَوْلادٌ؛ فَمِمَّا يَجِبُ تَأْصِيلُهُ، وَيَتَحَتَّمُ تَحْقِيقُهُ، العَدْلُ بَيْنَ الأَوْلادِ؛ فَلا يُؤْثَرُ جِنْسٌ عَلَى جِنْسٍ، وَلا يُفَضَّلُ وَلَدٌ عَلَى آخَرَ، بَلْ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ تَعَامُلُنَا مُتَسَاوِيًا، وَأَنْ يَكُونَ عَطَاؤُنَا لَهُمْ مُتَوَازِنًا، فَتَفْضِيلُ أَحَدِ الأَوْلادِ عَلَى الآخَرِ فِي العَطَاءِ - أَيًّا كَانَ لَوْنُ هَذَا العَطَاءِ - يَغْرِسُ فِي نُفُوسِهِمُ الحَسَدَ وَالبَغْضَاءَ، وَيُحْدِثُ بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالضَّغِينَةَ، مِمَّا قَدْ يَصِلُ بِالأُسْرَةِ إِلَى عَوَاقِبَ وَخِيمَةٍ، حَيْثُ يَحُلُّ الشِّقَاقُ مَحَلَّ الوِفَاقِ، وَالخِلافُ بَدَلَ الائْتِلافِ، أَمَّا العَدْلُ بَيْنَهُمْ فَيُعِينُهُمْ عَلَى بِرِّ الوَالِدَيْنِ وَطَاعَتِهِمَا، وَيُنَشِّئُهُمْ عَلَى حُبِّ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَبِذَلِكَ يَتَفَيَّأُ أَفْرَادُ الأُسْرَةِ جَمِيعًا ظِلالَ الأَمْنِ وَالسَّعَادَةِ، مِمَّا يَنْعَكِسُ إِيْجَابًا عَلَى دِرَاسَةِ الأَوْلادِ إِنْ كَانُوا يَدْرُسُونَ، وَعَلَى عَمَلِهِمْ إِنْ كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَفِي هَذَا خَيْرٌ لَهُمْ وَلِمُجْتَمَعِهِمْ وَوَطَنِهِمْ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ بَشِيرَ بْنَ سَعْدٍ طَلَبَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَشْهَدَ عَلَى نِحْلَةٍ - أَيْ عَطِيَّةٍ - أَعْطَاهَا لِوَلَدِهِ النُّعْمَانِ؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((أَكُلَّ وَلَدِكَ أَعْطَيْتَ مِثْلَهُ؟ قَالَ: لا، فَقَالَ: فَلَيْسَ يَصْلُحُ هَذَا، وَإِنِّي لا أَشْهَدُ إِلاَّ عَلَى حَقٍّ، وَفِي رِوَايَةٍ: أَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي؛ فَإِنِّي لا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ))، وَقَدْ عَدَّ الرَّسُولُ ذَلِكَ العَدْلَ مِنْ تَقْوَى اللهِ فَقَالَ: ((اتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلادِكُمْ))، وَلا يَظُنَّنَّ أَحَدُكُمْ - عِبَادَ اللهِ - أَنَّ العَدْلَ بَيْنَ الأَوْلادِ قَاصِرٌ عَلَى العَطِيَّةِ المَادِّيَّةِ فَقَطْ؛ بَلِ العَدْلُ بَيْنَهُمْ مَطْلُوبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَمِمَّا يَجِبُ الاحْتِرَازُ مِنْهُ تَفْضِيلُ الذَّكَرِ عَلَى الأُنْثَى؛ بِحُجَّةِ أَنَّهَا أَدْنَى مَكَانَةً مِنْ أَخِيهَا الذَّكَرِ، فَهَذِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ عَادَاتِ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ الَّذِينَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي شَأْنِهِمْ: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ، يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾(١)، إِنَّ وَأْدَ البَنَاتِ الَّذِي كَانَ يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ فِي الجَاهِلِيَّةِ قَدْ يَحْدُثُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ مِنْ حَيْثُ لا يَدْرُونَ

(١) سورة النحل / ٥٨-٥٩ .

حِينَ يَئِدُونَ العَقْلَ وَالفِكْرَ السَّـلِيمَ؛ فَيَحْرِمُونَ الأُنْثَى أَنْ تَأْخُذَ حَظَّهَا مِنَ التَّعْـلِيمِ، وَفِي هَذَا مَا فِيهِ مِنْ ظُلْمٍ وَإِجْحَافٍ، وَبُعْدٍ عَنِ العَدْلِ وَالإِنْصَافِ، فَفِي الوَقْتِ الَّذِي يَشُقُّ الذَّكَرُ طَرِيقَهُ فِي التَّعْـلِيمِ دُونَ عَقَبَةٍ، بَلْ بِتَرْحِيبٍ لا يَشُوبُهُ أَدْنَى اعتِرَاضٍ؛ فَإِنَّ أُخْتَهُ الأُنْثَى إِنْ قُدِّرَ لَهَا أَنْ تَأْخُذَ نَصِيبَهَا مِنَ التَّعْـلِيمِ كَانَ ذَلِكَ عَلَى استِحْيَاءٍ، وَرُبَّمَا بِامتِعَاضٍ، مَعَ أَنَّ العِلْمَ الَّذِي يَكْفُلُ ثَقَافَةَ العَقْلِ وَتَهْـذِيبَ النَّفْسِ، هُوَ مِنَ الفُرُوضِ الدِّينِيَّةِ لِقَولِهِ – عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ –: ((طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسلِمٍ)) وَهُوَ نَصٌّ يَشْمَلُ الرَّجُلَ وَالمَرأَةَ عَلَى السَّوَاءِ بِاتِّفَاقِ العُلَمَاءِ.

عِبَادَ اللهِ:

مِمَّا لا يَجُوزُ اعتِبَارُهُ، بَلْ يَجِبُ وَيَتَحَتَّمُ إِنْكَارُهُ، لأَنَّهُ ظُلْمٌ بَيِّنٌ جَلِيٌّ، وَلَيْسَ بِالهَيِّنِ الخَفِيِّ، أَنْ تُحْرَمَ البِنْتُ الزَّوَاجَ لأَسْبَابٍ مُصْطَنَعَةٍ، وَذَرَائِعَ وَهْمِيَّـةٍ، تَرْجِعُ فِي الغَالِبِ إِلَى أُمُورٍ مَادِّيَّةٍ، فَقَدْ تُحْرَمُ البِنْتُ الزَّوَاجَ إِنْ كَانَتْ تَعْمَلُ؛ خَشْيَةَ أَنْ يُحْرَمَ وَلِيُّ أَمْرِهَا الرَّاتِبَ الَّذِي تَتَقَاضَاهُ، وَلَوْ أَنَّهُ اتَّقَى اللهَ فَيَسَّرَ لِزَوَاجِهَا الأَسْبَابَ، لَرَزَقَهُ اللهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَقَدْ تُحْرَمُ البِنْتُ الزَّوَاجَ بِسَبَبِ المُبَالَغَةِ فِي المَهْرِ المَطْلُوبِ، وَقَدْ تَقِفُ العَادَاتُ وَالتَّقَالِيدُ حَائِلاً بَيْنَ البِنْتِ وَزَوَاجِهَا، وَتَحْـقِيقِ أَمَلِهَا وَمُرَادِهَا، إِنَّ وَضْعَ العَرَاقِيلِ وَالعَقَبَاتِ فِي طَرِيقِ تَزْوِيجِ البَنَاتِ، هُوَ مِنَ العَضْـلِ الَّذِي نَهَى اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾(١)، عَلَى أَنَّهُ قَدْ يُفَوِّتُ عَلَى البِنْتِ فُرْصَةَ زَوَاجِهَا، فَتُحْرَمَ حَقَّهَا المَكْفُولَ، وَوَلِيُّهَا هُوَ المُحَاسَبُ وَالمَسْؤُولُ.

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَحَقِّقُوا العَدْلَ بَيْنَ أَوْلادِكُمْ؛ تَسْعَدُوا بِهِمْ وَيَسْعَدُوا بِكُمْ، وَتَنَالُوا رَحْمَةَ رَبِّـكُمْ، فَفِي ظِلالِ الرَّحْمَةِ الإِلَهِيَّةِ، تَسْـتَقِرُّ الحَيَاةُ الأُسْرِيَّةُ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

---

(١) سورة البقرة / ٢٣٢ .

*** *** ***

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، خَلَقَ الخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَظَّمَ أُمُورَهُمْ بِحِكْمَتِهِ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ العَفُوُّ الغَفُورُ، أَمَرَنَا بِالعَدْلِ فِي كُلِّ الأُمُورِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، مَنْ أَطَاعَهُ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ فَاهْتَدَى وَفَازَ وَنَجَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾(١)، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّ إِشَاعَةَ العَدْلِ فِي أَكْنَافِ الأُسْرَةِ وَبَيْنَ أَفْرَادِهَا، هُوَ مَصْدَرُ رَاحَتِهَا، وَسَبَبُ إِسْعَادِهَا، لِذَا وَجَبَ عَلَيْكُمْ – عِبَادَ اللهِ – أَنْ تَزِنُوا أُمُورَكُمْ فِي أُسَرِكُمْ بِمِيزَانٍ دَقِيقٍ، لِتُحَقِّقُوا بَيْنَ أَفْرَادِهَا العَدَالَةَ المَطْلُوبَةَ، لِتَنَالُوا مِنَ اللهِ تَعَالَى حُسْنَ المَثُوبَةِ، وَاحْذَرُوا أَنْ يَقَعَ مِنْ أَحَدِكُمْ ظُلْمٌ لِبَعْضِ أَوْلادِهِ مِنْ حَيْثُ لا يَدْرِي، فَمِنْ ظُلْمِ الأَوْلادِ فَقْدُهُمُ القُدْوَةَ الحَسَنَةَ فِي آبَائِهِمْ، فَالآبَاءُ حِينَ يَفْعَلُونَ أَمَامَ أَوْلادِهِمْ مَا لا يَنْبَغِي فِعْلُهُ، أَوْ يَقُولُونَ مَا لا يَنْبَغِي قَولُهُ؛ يَتَسَبَّبُونَ بِذَلِكَ فِي أَنْ يَنْشَأَ الأَوْلادُ نَشْأَةً غَيْرَ سَوِيَّةٍ، إِذْ كَيْفَ يُحْسِنُونَ وَقَدْ فَقَدُوا القُدْوَةَ الحَسَنَةَ السَّوِيَّةَ؟ وَمِنَ الظُّلْمِ الوَاقِعِ عَلَى الأَبْنَاءِ عَدَمُ مُرَاقَبَتِهِمْ، وَتَرْكُ الحَبْلِ عَلَى الغَارِبِ لَهُمْ، يَفْعَلُونَ مَا يَشَاؤُونَ، وَيُصَادِقُونَ مَنْ يُرِيدُونَ، دُونَ أَنْ يَكُونَ لِلآبَاءِ دَوْرٌ فِي التَّوْجِيهِ، وَالإِرْشَادِ وَالتَّنْبِيهِ بِرِفْقٍ، وَعَدَمُ مُتَابَعَةِ الأَبْنَاءِ فِي مَدَارِسِهِمْ ظُلْمٌ لَهُمْ وَإِهْمَالٌ، لا يُعَوِّضُهُ جَاهٌ وَلا مَالٌ، إِنَّ انْشِغَالَ المَرْءِ بِمَالِهِ عَنْ عِيَالِهِ، أَوْ بِعَمَلِهِ عَنْ أُسْرَتِهِ تَضْيِيعٌ لِلأَمَانَةِ، وَإِهْمَالٌ لِلْمَسْؤُولِيَّةِ. إِنَّ الإِسْلامَ كَمَا يُطَالِبُكُمْ بِالمُحَافَظَةِ عَلَى أَمْوَالِكُمْ، وَالمُوَاظَبَةِ عَلَى أَدَاءِ أَعْمَالِكُمْ، يُطَالِبُكُمْ كَذَلِكَ بِرِعَايَةِ أُسَرِكُمْ، وَسَاعَاتُ اليَوْمِ كَثِيرَةٌ، كَافِيَةٌ لِإِنْجَازِ الأَعْمَالِ الكَثِيرَةِ، وَإِذَا أَطَاعَ الإِنْسَانُ رَبَّهُ وَاتَّقَاهُ، بَارَكَ أَوقَاتَهُ؛ فَعَمَرَ حَيَاتَهُ، وَوَازَنَ بَيْنَ جَمِيعِ مُتَطَلَّبَاتِهَا.

---

(١) سورة النور / ٥٤ .

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِذَا كَانَ العَدْلُ مَطْلُوبًا بَيْنَ الأَوْلادِ فِي البَيْتِ الوَاحِدِ، فَهُوَ كَذَلِكَ مَطْلُوبٌ فِي الأُسْرَةِ بِمَدْلُولِهَا الأَشْمَلِ وَالأَوْسَعِ، لِيُعْطُوا نَمُوذَجًا رَائِعًا مِنْ نَمَاذِجِ التَّكَافُلِ الأُسْرِيِّ وَالاجتِمَاعِيِّ، فَلَيْتَ كُلَّ قَادِرٍ مَيْسُورِ الحَالِ يُعِينُ قَرِيبًا لَهُ قَلِيلَ المَالِ، فَهُوَ مَظَلَّةُ التَّأْمِينِ السَّلِيمِ، سَنَّهَا لِلْعَالَمِ الرَّسُولُ الكَرِيمُ ﷺ حِينَ أَعَانَ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ فَضَمَّ ابْنَهُ عَلِيًّا إِلَيْهِ، وَطَلَبَ مِنْ عَمِّهِ العَبَّاسِ أَنْ يَضُمَّ جَعْفَرًا، فَفِي هَذَا عَدْلٌ وَرَحْمَةٌ، وَعَطْفٌ وَوَفَاءٌ، يَقْضِي عَلَى الكَرَاهِيَةِ وَالبَغْضَاءِ وَالجَفَاءِ.

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَاعلَمُوا أَنَّكُمْ إِذَا حَقَّقْتُمُ العَدْلَ بَيْنَ أَفْرَادِ أُسَرِكُمْ مِنْ أَزْوَاجٍ وَأَوْلادٍ؛ سَلَكْتُمْ طَرِيقَ الهُدَى وَالرَّشَادِ، وَمُنِحْتُمُ التَّوفِيقَ وَالسَّدَادَ، وَكُنْتُمْ مِنَ المُقْسِطِينَ الَّذِينَ هُمْ يَوْمَ البَعْثِ وَالنُّشُورِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ.

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا.

---

(١) سورة الأحزاب / ٥٦ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاًّ مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيْبًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلاَلاً طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِيْنَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.